اسباب الرحمة وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع من خلال آيات القرآن الكريم

إعداد:

خالد أحمد بركات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وبعد:

إن من المواضيع البالغة الأهمية للبحث (خلق الرحمة)، فلا يكاد القارئ لكتاب الله يمر على آية من آياته، إلا ويجد فيها ذكر الرحمة صريحًا أو إشارةً، كيف لا والرحمة هي الغاية التي أرسل بها محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

أهمية البحث:

إن موضوع خلق الرحمة في غاية الأهمية الإنسانية، وإن الإنسانية جمعاء بحاجة في كل زمان ومكان إلى خلق الرحمة في جميع جوانب حياتها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتعليمية، والتربوية؛ ولهذا كان موضوع هذا البحث: (أسباب الرحمة وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع من خلال آيات القرآن الكريم) ضمن المحور الأول (تأصيل خلق الرحمة في الإسلام) من محاور المؤتمر الدولي (الرحمة في الإسلام).

أهداف البحث:

- التعرف على أسباب الرحمة وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع.
- حث المسلمين على التحلي بصفة الرحمة، واتخاذ القرآن هدى ورحمة للتراحم فيما بينهم، واتباعهم نبيهم (الرحمة المهداة)، وتخلقهم بخلقه ﷺ.
- التأكيد على أن الإسلام الذي ارتضاه الله للناس هو دين الرحمة والسلام، وليس دين إرهاب وسفك للدماء.

مشكلة البحث:

- التأكيد على دعوة القرآن للتراحم والتعاطف في زمن باتت البشرية تعيش فيه معيشة الضنك والبغضاء والبغي.
- تصحيح مفهوم كثير من المسلمين، واجتناب ظنهم أن الإسلام دين غلظة وشدة، وأن المسلم ينبغي أن يكون شديدًا في معاملته مع الآخرين، فكان هذا البحث توضيحًا لعدم التناقض بين رسالة الرحمة والتخلق بها، وبين التزام الإنسان بها وتمسكه بدينه.

منهج البحث:

اتبعت في منهج هذا البحث الخطوات التالية:

١. استقراء لبعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضع (أسباب الرحمة وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع)، اقتصارًا والتزامًا بعدد صفحات البحث المشروط.

٢. توثيق المعلومات وعزوها إلى مصادرها ومراجعها.

٣. تخريج الأحاديث ذات الصلة بموضوع البحث.

وقد قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وعشرة مباحث، وخاتمة.

التمهيد: وتكلمت فيه عن مفهوم الرحمة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: الإيمان، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: الإيمان وصلته بالرحمة.

المطلب الثاني: أثر الإيمان في إصلاح الفرد والمجتمع

المبحث الثاني: التقوى، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: التقوى وعلاقتها بالرحمة.

المطلب الثاني: أثر التقوى في إصلاح الفرد والمجتمع.

المبحث الثالث: القرآن الكريم وصلته بالرحمة.

المبحث الرابع: الدعاء، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: الدعاء وصلته بالرحمة.

المطلب الثاني: الدعاء وأثره في إصلاح الفرد والمجتمع.

المبحث الخامس: الاستغفار.

المبحث السادس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلته بالرحمة.

المطلب الثاني: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إصلاح الفرد والمجتمع.

المبحث السابع: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأثرهما في إصلاح الفرد والمجتمع، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصلتها بالرحمة.

المطلب الثاني: أثر إقام الصلاة وإيتاء الزكاة في إصلاح الفرد والمجتمع.

المبحث الثامن: طاعة الله ورسوله ﷺ وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع.

المبحث التاسع: الهجرة في سبيل الله وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع.

المبحث العاشر: الجهاد في سبيل الله، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: الجهاد في سبيل الله وصلته بالرحمة.

المطلب الثاني: الجهاد في سبيل الله وأثره في إصلاح الفرد والمجتمع.

الخاتمة وفيها: ملخص البحث، والتوصيات، والفهارس، والمصادر والمراجع.

* * *

التمهيد

مفهوم الرحمة في اللغة

من خلال البحث عن معنى الرحمة في كتب اللغة تجد أنها تتفق على معنى الرقة والعطف(١)، والرحم والرحمة بمعنى واحد(٢)، والعلاقة بين الرحم والرحمة وطيدة، فالرحم في اللغة: «علاقة القرابة، ثم سميت رحم الأنثى رحمًا من هذا، لأن منها ما يكون ما يراحم ويرق له من ولد»(٣)، فالرحم والرحمة مشتق بعضها من بعض(٤)، لقوله ﷺ: (قال الله تعالى: أنا الرحمن وهي الرحم، شققتُ لها اسمًا مِن اسمِي، مَنْ وَصَلها وَصَلتُه، ومَنْ قَطَعَها بتتُّه)(٥). فالرحم مشتقة من اسم الرحمن، والرحمن والرحم مشتقان من الرحمة، وأما الرحيم فالصواب -والله أعلم- أن الرحمن والرحيم وإن اشتقا من الرحمة إلا أنهما متغايران في الدلالة، فالرحمن اسم مختص بالله سبحانه وتعالى، لايجوز أن يسمى به غيره(٦)، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، أبي الفضل، جمال الدين بن مكرم، دار لسان العرب، بروت (١/١١٤٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار الفكر العربي، ط: سنة ١٩٧٨م، ت: عبدالسلام هارون، (٢/٤٩٨).

(٣) المصدر السابق، (٢/٤٩٨).

(٤) مقدمة جامع التفاسير، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، دار الدعوة، الكويت، ت: أحمد حسن فرحات، ط: الأولى سنة ١٩٨٤م، ص ١١٤.

(٥) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ت: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، (٣/١١٩)، ح(١٦٩٤). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح إسناد رجاله ثقات ثقات.

(٦) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، دار المعرفة، بيروت، ت: محمد سيد كيلاني، ص١٩٢.

ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء:١١٠]، فكما أن (الله) اسم ليس لأحد فيه شركة، كذلك الرحمن(١)، والرحمن أيضًا «صيغة مبالغة من الرحمة، معناها أنه انتهى إلى غاية الرحمة، وهي أبلغ من (فعيل)، و(فعيل) أبلغ من (فاعل)، لأن راحمًا يقال لمن رحم ولو مرة واحدة، ورحيمًا لمن كثر منه ذلك، والرحمن النهاية في الرحمة»(٢).

وأما الرحيم فيستعمل في غير الله ﷻ، لمن كثرت منه الرحمة، وقد وصف رسولنا الكريم بالرحيم ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨](٣).

مفهوم الرحمة في الاصطلاح:

للرحمة في الاصطلاح تعاريف عدة، منها قول الآلوسي: "فلأن كون الرحمة في اللغة رقة القلب إنما هو فينا، وهذا لا يستلزم ارتكاب التجوز عند إثباتها لله ﷻ، لأنها حينئذ صفة لائقة بكمال ذاته كسائر صفاته"(٤)، وعرفها ابن القيم فقال: "إن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليه، فهذه هي الرحمة الحقيقية"(٥).

وقد وردت مادة (ر ح م) في القرآن الكريم بصيغ متعددة، إضافة إلى

---

(١) جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن، المعروف بابن دريد، دار العلم، بيروت، ت: د. رمزي منير بعلبكي، مادة (رحم)، (١/٥٢٤).

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، المعروف بالثعالبي، مؤسسة الأعلى، بيروت، (١/٢١).

(٣) المفردات، للراغب الأصفهاني، مادة (رحم)، ص١٩٢.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت ت: علي عطية، ط: الأولى، سنة ١٤١٥ هـ.

(٥) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، مكتبة المعارف، الرياض، ت: محمد الفقي، (٢/١٧٤).

البسملة في سورة الفاتحة ثلاث مائة وتسع وتسعين مرة(١). فالرحمة الإلهية وسعت كل شيء، وسعت القريب والبعيد، والكبير والصغير، والكافر والمؤمن، والإنسان والحيوان والطير، كما قال ﷺ: «إنَّ للَّه مائَةَ رَحْمَة أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْس وَالْبَهَائِم وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢)، والرحمة صفة لائقة بكمال ذات اللّه سبحانه وتعالى كسائر صفاته، وصف بها نفسه، وكتبها على نفسه الكريمة تفضلًا منه وإحسانًا، وغلبت رحمته غضبه، وأودعها في قلوب جميع مخلوقاته ليتراحموا بها فيما بينهم.

ومن خلال استقراء الآيات التي وردت فيها الرحمة، والرجوع إلى كتب التفسير، يتبين أن المعاني التي ورد عليها لفظ الرحمة في القرآن الكريم ثلاثة عشر وجهًا، وهي: النبوة، والمطر، والقرآن، والجنة، والرزق، والعصمة، والسعة، والتوفيق، والمودة، والرحمة بما يقابل كشف الضر، والشفاعة، والشفقة والرقة، والرحمة صفة للّه سبحانه وتعالى. وقد اعتمدت صفة الرحمة للّه سبحانه وتعالى وأسبابها عنوانًا للبحث.

* * *

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ص٣٠٦.

(٢) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٢، سنة ١٩٧٢، (٢٠١٨/٤)، ح(١٩).

المبحث الأول
الإيمان

المطلب الأول
الإيمان وصلته بالرحمة

إن من أعظم نعم الله على بني الإنسان الإيمان، والإيمان هو أول أسباب رحمة الله، ولذا قال عن المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:٢١٨]، وبشرهم بالرحمة بعد أن ناداهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣]، قال الآلوسي: "دل على أن المراد بالصلاة الرحمة"[١]. فنالوا جنته برحمته وفضله ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء:١٧٥].

المطلب الثاني
أثر الإيمان في إصلاح الفرد والمجتمع

لقد ورد كثير من الآيات القرآنية التي تبين أثر الإيمان في إصلاح الفرد والمجتمع، ومن هذه الآثار:

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، دار الفكر، بيروت، (٨/٤٣).

- **محتوى الإيمان:**

فالإيمان بالله يجعل كل فرد في المجتمع يشعر بمراقبة الله لأفعاله، والإيمان بالملائكة يجعله يستحيي من مخالفة أمره لعلمه أن الملائكة الحافظين الكاتبين تحصي عليه ما يفعل، والإيمان بالكتب يجعله يعتز بكلام الله المنزل ويتقرب إليه بتلاوته والعمل به، والإيمان بالرسل يجعله يأنس بسِيرهم فيتأسى ويقتدي بهم، والإيمان باليوم الآخر ينمي فيه حب الخير رجاء ثوابه في الجنة، وكره الشر خشية عقابه في النار، والإيمان بالقدر خيره وشره يوطن نفسه للرضا والصبر والتصبر.

- **الإيمان والسعادة:**

الإيمان هو السبيل إلى الحياة السعيدة الطيبة لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]، وفقدان السعادة يعني حلول القلق والاضطراب النفسي والهم والحزن. والإيمان هو المؤدي إلى الطمأنينة والسكينة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:٤]، وأهم ما يميز المجتمع المؤمن عن المجتمع الغربي غير المتدين عقيدة الإيمان بالله وما تقدمه من الأمن والطمأنينة للنفس البشرية، وتدفع عنها عوامل الأمراض النفسية المؤدية إلى اليأس والانتحار، وكلما ازداد إيمان الإنسان كلما ابتعد عن هواجس اليأس والقلق وما تسببه من أمراض.

- **الإيمان والصبر:**

الإيمان له ارتباط وثيق بالصبر، ونزول الرحمة، وقد نادى الله ﷻ

عباده المؤمنين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٣]، فبالصبر تنال كل فضيلة، وبالصلاة ينهى عن كل رذيلة، ثم خاطبهم فقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]، أي: أولئك الموصوفون بما ذكر، لهم ثناء الله ورحمته، والهداية إلى طريق السعادة. يقول صاحب تفسير المنار: «وأما الرحمة فهي ما يكون لهم في نفس المصيبة من حسن العزاء، وبرد الرضا، والتسليم للقضاء، فهي رحمة خاصة يحسد الملحدون عليها المؤمنين، فإن الكافر المحروم من هذه الرحمة في المصيبة تضيق عليه الدنيا بما رحبت، حتى أنه ليبخع نفسه إذا لم يعد له رجاء في الأسباب التي يعرفها، وينتحر بيده ويكون من الهالكين»(١).

فاليأس من أخطر الأمراض التي تعصف بالنفس، وقد توردها المهالك، والمؤمن يعلم أن مصائب الحياة ما هي إلا ابتلاء من الله يعرف بها المؤمن الصابر من الكافر القانط، فكيف يقنط المؤمن من رحمة ربه وهو يقرأ قوله ﷻ على لسان إبراهيم ؑ: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر:٥٦]، وقوله ﷻ على لسان يعقوب ؑ: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧]، فالقنوط مقرون بالضلال، واليأس بالكفر، كما أن الإيمان مقرون بالصبر، والصبر بالتقوى والإحسان، والرحمة قريبة من المحسنين.

- **الإيمان والأخلاق:**

الدين والأخلاق عنصران متلازمان، فالأخلاق مرتبطة بالإيمان،

---

(١) تفسير المنار، لرضا محمد رشيد، مطبعة المنار، مصر، ط: الأولى، سنة ١٣٤٦هـ، (٢/٤١).

وأعلى شعبة من شعب الإيمان شهادة أن لا إله إلا اللّٰه، وهي التي لا يكون الإنسان مسلمًا إلا بها، وأدنى شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق، وعليه فإن فلاح المؤمن مرتبط بدمج الجانب التعبدي مع الجانب الأخلاقي في الإسلام.

- **الإيمان والعمل والإصلاح:**

إن الدافع إلى العمل هو الإيمان باللّٰه، فالمؤمن يعمل بدافع الإيمان، لا بسوط يسوقه من الخارج، فهو يعلم أن مهمته هي عمارة الأرض، ويوقن أن السعادة في الآخرة والنجاح في الدنيا موقوف على العمل، لأن الجنة ليست جزاء للكسالى بل للعاملين ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢]. وإن الباعث على الإصلاح هو الإيمان باللّٰه ﷻ، فلا صلاح ولا إصلاح لأحوال الخلق أجمعين إلا بالإيمان بخالق الخلق والعالم بما يصلح شؤونهم، والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد الرابط بين الإيمان والعمل والصلاح والإصلاح، ولا يمكن أن يكون إصلاح بغير المنطلق الإيماني.

- **الإيمان والأمن:**

العلاقة بين الإيمان والأمن تتضح من نفس حروف مادة (أ م ن)، وهذه المادة يشتق منها الإيمان، وتدل عليه كما تدل على الأمن، فهي متقاربة في الاشتقاق، في اللفظ والمعنى والدلالة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، ويؤيده قوله ﷺ: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)(١). الأمن نعمة

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ١٧/٥، (٢٦٢٧)، =

كبرى لايعرف فضلها إلا من حرمها، وهي ثمرة من ثمرات الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾ [النور:٥٥]، إن النفس تطمئن بالإيمان، وتستقر حياة المؤمن بالأمن، في حين أن الخوف يساور المرء عندما يبتعد عن الله ويكفر بنعمائه، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢]، وفي ضرب الأمثال، وذكر الأمم السابقة عبرة وعظة، فصاحب النفس المطمئنة يجد عزاه بإيمانه، فتقوى روحه على الدنيا وما فيها، قال ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»(١).

إن العالم اليوم يعيش التقدم المادي، وإن الأمم الكبرى تعيش في قمة التطور المذهل في كافة مجالات الحياة، لكنها تفقد الأمن والأمان بفقد الإيمان، فيسيطر عليها الخوف والجزع، وما أشبهها بحال الأمم قبل بعثة النبي ﷺ المرسل رحمة للعالمين، وما تزال رسالته التي تحقق الرحمة للعالمين بين أيدينا، وما زلنا نحن حملة هذه الأمانة التي يجب أن نؤديها إلى أنفسنا أولًا قبل العالم كله، وأعظم أمانة أعطيها الإنسان وكلف بها هي الإيمان بالله، ولا يتحقق الأمن في المجتمع من غير تحقق سلوك المؤمنين في عهد النبي ﷺ الذين تحقق بهم ذلك الأمن. فالسجون في أمريكا وغيرها تفتح

= وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه، باب حرمة دم المؤمن وماله، ٥/٨٦، (٣٩٣٤)، ومسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط: الرسالة (١٤/٤٩٩)، ح(٨٩٣١).

(١) سنن الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ط: الثانية، مصطفى البابي الحلبي/ مصر، سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، (٤/٥٧٤)، ح(٢٣٤٦)، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية»، وأخرجه ابن ماجه في السنن، باب القناعة، ٥/٥٣، (٤١٤١)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «حديث حسن بمجموع شواهده».

أبوابها لمن يدعو إلى الإسلام وسائر الأديان للتخلي والكف عن الإجرام بسبب خلو الإيمان، وكل ما تعيشه البلاد المؤمنة من أمن ورخاء، ومن تدني نسب الجريمة فهو نتيجة بقاء بقايا الإيمان فيها، وبقدر ما يتكدر صفو الأمن فيها يجب عليها مراجعة النفس، ولتعلم أن ما أصابها فبما كسبت أيديها، وبقدر عدم تحقيق الإيمان يكون الخلل في الأمن.

* * *

المبحث الثاني
التقوى

المطلب الأول
التقوى وصلتها بالرحمة

من ثمار التقوى وآثارها نيل رحمة الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، ولذا أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بالتقوى، ووصّى بها الأولين والآخرين، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١]، وعاب على المشركين إعراضهم عن الإيمان بعد أن ذكرهم بآثار رحمته فقال: ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٤٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [يس:٤٤-٤٥]، فحذرهم مما حل بمن سبقهم وما وراءهم من عذاب الآخرة لكي يرحموا، وجعلها ميزانًا للتفاضل بين العباد في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣]، وجعل لباس التقوى خير ما يتزين به المرء فقال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦]. إن أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين الله ﷻ وقاية تقيه من عذاب الله وسخطه، فالتقوى كلمة جامعة مانعة، شاملة لكل ما جاء به الإسلام من عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاق، قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ

وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

والتقوى تشمل جميع جوانب الحياة، وهي أساس الأعمال، وبها تصلح الأحوال:

ففي العبادات قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣]، وفي المعاملات قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٢٧٨]، وقال ﷺ: «إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ، وَبَرَّ، وَصَدَقَ»(١)، وفي العلاقات الاجتماعية قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ [الطلاق:١]. وفي الحدود والجنايات قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩]. وفي الوصية قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١٨٠].

المطلب الثاني

أثر التقوى في إصلاح الفرد والمجتمع

للتقوى آثار في إصلاح الفرد والمجتمع منها:

- أنها تجعل الناس يلتزمون بالقوانين التي تضمن لهم سعادتهم وراحتهم وسلامتهم، وإذا غابت التقوى من حياة الناس فلن تنفع كل قوانين العالم في تنظيم الحياة واستقرارها.
- تيسير أمور الإنسان قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [الطلاق:٤].

---

(١) سنن الترمذي، (٣/٥٠٧)، ح(١٢١٠). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وضعفه الألباني رحمه الله.

- الخروج من الأزمات وسعة الرزق قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].
- الحفظ من كيد الأعداء قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠].
- صلاح الأحوال والأعمال قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].
- سبيل الحياة الآمنة المطمئنة قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف:٣٥].
- نجاة المجتمع من عذاب الدنيا قال تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [النمل:٥٣].
- البعد عن الانحراف الفكري والعقدي، والعيش في مجتمع آمن من ظلمات الغي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨].
- تهذب النفوس، وتقوم الأخلاق، وتضبط السلوك، قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(١).

فهي جماع كل خير، ووقاية من كل شر، قال أحد الصالحين: "التقوى العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله، والتقوى ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله"(٢).

* * *

---

(١) مسند الإمام أحمد، (٢٨٤/٣٥)، ح(٢١٣٥٤).

(٢) الزهد الكبير، للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ت: عامر أحمد حيدر، مؤسسة المتب الثقافية، بيروت، ط: الثالثة، سنة ١٩٩٦م، ص: ٣٥١.

المبحث الثالث
القرآن الكريم

المطلب الأول
القرآن الكريم وصلته بالرحمة

إن من آثار رحمة الله سبحانه وتعالى إرسال الرسل، وإنزال الكتب هدى ورحمة كما قال سبحانه وتعالى عن توراة موسى عليه السلام: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:١٥٤]، وأخبر عن عيسى عليه السلام فقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٤٦]، وإن قراءة القرآن الكريم، والاستماع له والإنصات، ومدارسته، من أسباب الرحمة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤]، ويقول النبي ﷺ في جزء من حديثه: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»⁽¹⁾، وقراءته لا تنحصر بتلاوة الحروف والكلمات، وإنما يضاف إليها قراءة التدبر والتفكر، قال تعالى: مبيناً سبب نزول القرآن، والغاية منه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، يقول سيد قطب: "إن العكوف على هذا القرآن في وعي وتدبر لا مجرد التلاوة والترنم، لينشئ في القلب والعقل من الرؤية الواضحة البعيدة المدى، ومن المعرفة

---

(١) صحيح مسلم، (٤/٢٠٧٤)، ح(٣٨ - ٢٦٩٩).

المطمئنة المستيقنة، ومن الحرارة والحيوية والانطلاق، ومن الإيجابية والعزم والتصميم ما لا تدانيه رياضة أخرى أو معرفة أو تجريب....، وهذا كله أرجى إلى رحمة الله"(١).

المطلب الثاني
أثر القرآن الكريم في إصلاح الفرد والمجتمع

لذلك يجب اتباعه وجعله دستورًا للحياة، ونبراسًا لإصلاح المجتمع، فيحل حلاله، ويحرم حرامه، ويعمل بأحكامه، وتجتنب نواهيه، ويكون سببًا للرحمة، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥]، كيف لا؛ وهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، وهو الضياء والنور، من تمسك به نجا وَرُحِم، ومن تنكبه هلك، فهو الشفاء للصدور، والرحمة للقلوب(٢)، فالإيمان والتقوى من أسباب الرحمة، كذلك القرآن الكريم ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢]، وقد خاطب الله الناس فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس:٥٧-٥٨]، أي: فليفرحوا بما جاءهم من القرآن، فإنه أولى ما يفرح به، وخير مما يجمع من حطام الدنيا، فهو (كتاب جامع لهذه الفوائد العظيمة من الموعظة، والتنبيه على التوحيد، ودواء الصدور من العقائد الفاسدة، ودعاء إلى الحق، ورحمة لمن آمن به منكم)(٣).

---

(١) في ظلال القرآن، للسيد إبراهيم قطب، دار الشروق، بيروت، ط: ١٣، سنة ١٩٨٧م، ٣/١٤٢٦).

(٢) ينظر: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، لمحمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، دار الفكر، بيروت، (٧٩/١).

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله ابن عامر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (٣٥٣/٢).

والإنسانية المعذبة، والأنظمة المضطربة، والمجتمعات المتداعية، لا عاصم لها من التردي في الهاوية، إلا القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤-١٢٥]، فالقرآن يعالج المشكلات الإنسانية كلها، الروحية والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهو صالح لكل زمان ومكان، كيف لا وهو ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١].

* * *

المبحث الرابع
الدعاء

المطلب الأول
الدعاء وصلته بالرحمة

الدعاء من أسباب الرحمة، وفيه اعتراف من العبد بالفقر إلى غنى رحمة الله الغني الحميد، ولقد أخبر الله ﷻ عن نبيه أيوب عليه السلام فقال: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤]، فاستجاب له بعد صبره ودعائه. وأخبر ﷻ عن أصحاب الكهف حين آووا إلى كهفهم وجأروا إلى الله بالدعاء: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠]، وكان ذلك بعد أمر الله تعالى لهم: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف:١٦]، لذلك كان الدعاء سبيلًا إلى رحمة الله، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَمَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا يَعْنِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ العَافِيَةَ»(١).

---

(١) سنن الترمذي، (٥/٥٥٢)، ح(٣٥٤٨)، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، (١/٦٧٥).

المطلب الثاني

أثر الدعاء في إصلاح الفرد والمجتمع

للدعاء آثار عظيمة جمة منها:

تفريج الكربات وحل الأزمات، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٦٢]، ولذا شرع ما يسمى بقنوت النوازل، وهو مستحب في جميع الصلوات، لرفع ما نزل من البلاء في المجتمعات.

ولكنّ أثر الدعاء في إصلاح المجتمع يتطلب:

١. تجنب الظلم وردع الظالم، وهو من أقوى الأسلحة التي يستنصر بها على الظلمة لقوله ﷺ: «اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»(١)، وفيه دلالة على منع الظلم لحلول الأمن في المجتمع، فكل ظالم ليس في مأمن من دعوة المظلوم، ما لم يتب ويرد المظالم إلى أهلها.

٢. الترفع عن المحرمات، فالمأكل والمشرب والملبس الحرام يحجب الدعاء، كما أخبر النبي ﷺ: «... ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»(٢). وقد ابتلى الله المجتمع بأكل الحرام من الربا والرشوة والغش وأكل أموال الناس بالباطل وبغير حق، وكثير من الناس لا يبالي من أين يكتسب ماله، وهو يعلم أن الله سيسأله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟

---

(١) صحيح البخاري، (١٢٩/٣)، ح(٢٤٤٨).

(٢) صحيح مسلم، (٧٠٣/٢)، ح(١٠١٥).

١. الإفساد في الأرض، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦].

أمر الله أن ندعوه تذللًا وسرًا، ونهى عن الاعتداء في الدعاء، والإفساد في الأرض بعد إصلاحها ببعثة المرسلين، ثم كرر الأمر بدعائه خوفًا من عذابه، وطمعًا في رحمته، فرحمته ﷻ قريبة من المحسنين المطيعين، ومن آثار الإحسان استحقاق رحمة الله، والرحمة هي الإحسان إلى النفس بالقيام بأمر الله، والإحسان إلى الخلق بفعل أنواع الخير الذي ينفع العباد ويصلح البلاد.

٣. عدم قطع الأرحام، لقد مدح الله ﷻ الذين يصلون الأرحام التي أمر الله بوصلها، ويخشونه ويخافون سوء الحساب، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١]، وذم الذين يقطعون الأرحام التي أمر الله بوصلها، ويفسدون في الأرض فاستحقوا اللعنة والبعد من رحمته، والطرد من جنته، فقال عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥]، فقرن الله ﷻ صلة الأرحام بالخشية والخوف منه، وقطعها بالإفساد في الأرض، فاستحق قاطعها اللعنة والبعد من رحمته، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد:٢٢-٢٣]، أي: فلعلكم إن أعرضتم عن الإسلام أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، من الإفساد في الأرض بالمعاصي، وقطع الأرحام!! قال قتادة: "كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله، ألم يسفكوا الدم الحرام؟ ويقطعوا الأرحام؟

ويعصوا الرحمن؟! قال أبو حيان: يريد ما جرى من الفترة بعد زمان الرسول ﷺ"(١). وقرأ رويس "تُوُلِيتم" بضم التاء والواو، وكسر اللام، على البناء للمفعول، بمعنى: إن وليتم أمور الناس أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أو: إن ولي عليكم ولاة، فالنهي شامل لمن تولى وولي(٢). قال القرطبي: "أخبر ﷻ أن من فعل ذلك حقت عليه اللعنة، وسلبه الانتفاع بسمعه وبصره، حتى لا ينقاد للحق وإن سمعه، فجعله كالبهيمة التي لا تعقل"(٣). وهذا حال مجتمعات اليوم، فالإفساد في الأرض بشتى صوره، وقطع الأرحام، وما استفحلت هذه الصفات في أمة إلا أدت إلى شتاتها وهلاكها، فالإنسان وجد في الأرض واستخلف فيها ليعمرها، لا ليفسد فيها ويسفك الدماء، وقد خاطب الله الناس جميعًا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، فقرن الله ﷻ بين التقوى وصلة الرحم ليدل على أهمية هذه الرابطة الإنسانية، فالناس جميعًا من أصل واحد، وهم إخوة في الإنسانية والنسب، ولو أدرك الناس هذا لعاشوا في سعادة وأمان، ولما كانت هناك حروب طاحنة مدمرة تلتهب الأخضر واليابس، وتقضي على الكهل والواليد(٤).

٤. ثم خاطب جميع البشر فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

---

(١) البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط: الثانية، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م، (٨/٨٢).

(٢) ينظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، لسالم محيسن، دار الجيل، بيروت، ط: الثانية، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م، (٣/٢٤٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ، (١٦/٢٤٦).

(٤) صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار القلم، بيروت، ط: الخامسة، (١/٢٥٨).

وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات:١٣]، فالقصد من جعل الشعوب شتى، والقبائل متعددة، ليحصل التعارف والتآلف، لا التناحر والتخالف، فكيف يرجى ما عند الله من رحمة في مجتمع يدعو إلى قطيعة الرحم؟! وقد قال عبدالرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»(١)، وقد بين النبي ﷺ أن الله لا يستجيب دعاء من يدعو بدعوة فيها إثم أو قطيعة رحم، فكيف بمن يدعو إليها؟ قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِم يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِم، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاث: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَة، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا «قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ»(٢).

* * *

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسند الإمام أحمد، (٢١٣/١٧)، ح(١١١٣٣)، وإسناده جيد، وللحديث طرق عدة، وأخرجه الترمذي في السنن من حديث عبادة بن الصامت، بلفظ: (مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ)، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: (اللَّهُ أَكْثَرُ)، قال الترمذي: «وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، قال الألباني: «حديث حسن صحيح».

المبحث الخامس
الاستغفار

لاشك أن الاستغفار مدعاة لنيل رحمة الله سبحانه وتعالى، وهو سنة الأنبياء عليهم السلام، فآدم عليه السلام طلب من ربه الرحمة والمغفرة له ولزوجه فقال: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، ودعا صالح عليه السلام قومه فقال: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل:٤٦]، واستغفر موسى لنفسه ولأخيه هارون عليهما السلام فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥١]، وقبله قومه الذين ندموا على عبادتهم العجل فقالوا: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٩].

وفوائد الاستغفار عديدة منها:

- صمام أمان من العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].
- يجلب الرزق والبركة فيه، قال سبحانه وتعالى مخبرًا عن قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١١-١٢].
- موجب للقنوت، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩].

- مانع للقنوط، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].
- يحمل العبد على رحمة الخلق، ولين الجانب لهم، والتجاوز عنهم، فلا يليق بالمستغفر الذي يطلب الرحمة والتجاوز من الله أن يؤاخذ من أخطأ في حقه ولا يعفو عنه، وقد خاطب الله تعالى محمدًا ﷺ نبي الرحمة فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

* * *

المبحث السادس
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب الأول
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلته بالرحمة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبيل الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]، الفائزون برحمة الله، قال تعالى: ﴿فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٧]، أي: ففي الجنة ،لأنها مكان تنزل رحمة الله، ثم بين ﷾ أن أمة محمد خير الأمم؛ لأنها أنفع الناس للناس، أخرجت لأجلهم ولمصلحتهم، للأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر، فقال: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران:١١٠]، والذين تنالهم الرحمة هم الذين يتبعون محمداً ﷺ ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، ووصفوا في آخر الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، كما وصف به الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر من أمة محمد ﷺ في آخر الآية ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]، أي: الفائزون برحمة الله كما قال ﷾ في الآية السابقة: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾

[الأعراف:١٥٦]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لنيل رحمة الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٧١-٧٢].

المطلب الثاني

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إصلاح الفرد والمجتمع

لقد وصف الله سبحانه وتعالى كثيرًا من اليهود بأنهم يسابقون في المعاصي والظلم، وأكلهم الحرام، فقال: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٢]، ثم حض علماءهم وأحبارهم موبخًا ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣]، قال أبو حيان: «تضمنت هذه الآية توبيخ العلماء والعبَّاد على سكوتهم عن النهي عن معاصي الله»(١). وأخبر الله عن الذين لعنوا من بني إسرائيل بسبب عصيانهم واعتدائهم فقال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [المائدة:٧٨]، ثم بين الله حالهم الشنيع فقال: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٩]، قال الزمخشري: ”للتعجيب من سوء فعلهم، مؤكد بالقسم، فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المنكر، وهذا حال كثير من

---

(١) البحر المحيط، لأبي حيان، (٣/٥٢٢).

مجتمعات اليوم، وهي مفسدة ومدمرة لها، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقي المجتمع من العقائد الفاسدة، والطباع المعوجة، والسلوكيات المنحرفة".

ومهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتطلب الصبر، وقد أمر اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى محمدًا ﷺ أن يصبر على تبليغ أمره، كما صبر نوح عليه السلام فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩]، والصبر والتقوى من أسباب الرحمة.

وقرن اللّه بين التقوى وإصلاح ذات البين، فقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾ [الأنفال:١]، وكلاهما سبب لنيل رحمة اللّه، فلقد منّ اللّه على المؤمنين، أن جعلهم أمة واحدة متراحمة، كالجسد الواحد، كما قال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١)، وقد حث اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الصلح بين المؤمنين إن جنحوا إلى القتال، وقتال الفئة الباغية حتى تقلع عن البغي والعدوان، فقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، ثم بين أن ليس المؤمنون إلا أخوة، فلا ينبغي أن تكون بينهم عداوة أو بغضاء، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠] أي: بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

* * *

---

(١) صحيح مسلم، (٤/١٩٩٩)، ح(٢٥٨٩).

المبحث السابع
إقام الصلاة وإيتاء الزكاة

المطلب الأول
إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصلتهما بالرحمة

إن من صفات المؤمن السابق ذكرها في مبحث -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهما من أسباب الرحمة.

فالصلاة تقوي صلة العبد بربه، وتقربه من رحمته، وتعينه على ضبط الوقت، وتنهاه عن سوء القول والعمل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣]، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، ففي الصلاة يشعر المسلم بأنه جزء من مجتمع إخوانه، وفي صلاة الجماعة تتوحد الأمة، ويحصل التراحم، والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد، ويُقضى على جميع الفوارق بين بني الإنسان، فربهم واحد، وقبلتهم واحدة، ودستورهم واحد، ونبيهم واحد ﷺ.

والزكاة ليست ضريبة تؤخذ، أو جزية تعطى، بل هي لعلاج النفس من مرض الشح والأثرة، وطهارة المال وزكاته، وغرس مشاعر الرأفة والرحمة وتوثيق الألفة بين القلوب، وطبقات المجتمع كافة، قال الله سبحانه وتعالى آمرًا محمدًا ﷺ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ

وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١٠٣-١٠٤]، فزكاة الأموال مدعاة لزكاة النفوس، وطمأنينة دعاء واستغفار النبي ﷺ، والمغفرة والرحمة.

المطلب الثاني
أثر إقام الصلاة وإيتاء الزكاة في إصلاح الفرد والمجتمع

والإنسان يحب ما يسره، ويفر مما يكرهه، وتعبده ربه بإنفاق ما يحب، والصبر على ما يكره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج:١٩-٢٥]، فاستثنى الله سبحانه وتعالى المواظبين على أداء الصلاة، والذين فرضت عليهم الزكاة من الموصوفين بالهلع.

وليست الزكاة للسائل والمحروم فحسب، وإنما للأصناف الثمانية التي سماها الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠]، عليم بما يصلح الفرد والمجتمع، حكيم بأمره وما تقتضيه حكمته، فلولا فريضة الزكاة لما قامت شعائر الإسلام كالجهاد، وبناء المساجد، والمدارس، والمعاهد، والجامعات، والمستشفيات، وسائر مؤسسات المجتمع، إضافة إلى بناء الفرد بناء كاملًا، يشمل الجانب العقدي، والعبادي، والسلوكي، ولقد ذكر لنا النبي ﷺ نموذجًا للصدقة وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع حيث قال: «قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها

في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد، على زانية؟ لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله»(١).

فلو أنفق الذين في أموالهم حق معلوم، لاستعف كل سارق عن سرقته، وكل زانية عن زناها، واستغنى كل فقير، وقضي على ذريعة الفقر لارتكاب كل إثم ورذيلة، فللزكاة آثار حسنة على سلوك الأفراد والمجتمعات، تتمثل في تزكية النفس، ونشر الخير والفضيلة، ومنع الرذيلة بين الناس، وفي تكوين المجتمع الصالح، الذي عجزت كل الفلسفات والقوانين والآداب عن إصلاحه، وما زمن الخليفة الصالح عمر بن عبدالعزيز ونهجه في إثراء بيت مال المسلمين، وغناهم واستغنائهم، عنا ببعيد.

* * *

---

(١) صحيح البخاري (٢/١١٠)، ح(١٤٢١).

المبحث الثامن
طاعة الله ورسوله وصلتها بالرحمة

إن من آثار رحمة الله إرسال الرسل مبشرين ومنذرين، ورحمة وهداية للخلق أجمعين، والحكمة من إرسالهم طاعتهم واتباعهم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء:٦٤].

ومن صفات المؤمن السابق ذكرها أيضًا في مبحث -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-، طاعة الله ورسوله، وكل منهما سبب للرحمة، وقد قرن الله ﷾ بين طاعته وطاعة رسوله، وجعل طاعة رسوله ﷺ طاعة له ﷾، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، ولذا أمر عباده المؤمنين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء:٥٩]، ثم بين مكانة الطائع الرفيعة فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴾ [النساء:٦٩-٧٠]، ولا ينال الطائع هذا الفضل، والفوز بجنة الله ﷾ إلا برحمته، ولذا حثهم على الطاعة رجاء الرحمة، حيث قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢]، وقد وردت هذه الآية في سياق النهي عن أكل الربا الذي يهدد المجتمعات، وينذر

بعواقبه وآثاره الوخيمة، ومن رحمة الله بالمؤمنين أن جمع بين النهي عن أكل أموال الناس بكل طريق غير مباح، كالسرقة والخيانة والغصب والربا والميسر وغيره، وبين قتل النفس، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء:٢٩]، فالربا يؤدي إلى تفشي الطبقية والأحقاد والشحناء والبغضاء بين الناس، خلاف الزكاة إذ هي علاج لمرض الشح والبخل، وطهارة المال من أكل أموال الناس بالباطل والإثم بغير حق، وتوثيق الألفة بين القلوب، وطبقات المجتمع، قال ﷾ محذرًا في الآيات السابقة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣٠-١٣١]، ويعقب الأمر بطاعة الله ورسوله، الحث على المسارعة إلى المغفرة والجنة، فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤-١٣٥]، وقد سبق القول أن التقوى، والزكاة، والصبر، والإحسان، والدعاء، والاستغفار، من أسباب الرحمة كما قرن بين التقوى، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله، وأيضًا بين الأمر بطاعته وطاعة رسوله، والنهي عن النزاع المورث للضعف المذهب للقوة والبأس، فقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]، أي: بالنصر والعون في الجهاد والقتال.

المبحث التاسع
الهجرة في سبيل الله وصلتها بالرحمة

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:٢١٨].

لم تكن هجرة النبي ﷺ وأصحابه سياحة ومتعة، فقد كانت بعد أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وكانت مغادرة ومفارقة للأهل والوطن، لنيل رحمة الله سبحانه وتعالى. وللهجرة آثار عديدة منها:

- الهجرة درس في الصبر، والتدرج في البناء والإعداد الإيماني، قال الله سبحانه وتعالى مبينًا ذلك: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر:١٠]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل:٤١-٤٢]، ثم أكد جزاء الهجرة في السورة نفسها، فقال: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل:١١٠]، أي: إن ربك من بعد الهجرة والجهاد والصبر سيغفر لهم ويرحمهم.
- الهجرة درس في الولاء والبراء، فالأوطان من غير الإسلام مجرد أرض، وإذا تعذر تحقيق الغاية من خلق الإنسان -العبادة- فوق

أرض ما، فلا بد من البحث عن أرض أخرى صالحة للعيش بالإسلام، والتمكن من عرضه على الناس، وهذا هو الهدف من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، حيث سعى لإيجاد موطئ قدم لدعوته لكي تنعم بالأمن والاستقرار، وتبني نفسها من الداخل، ثم تحقق أهدافها في الخارج، وقد كان للهجرة أيضًا أثر عظيم على المجتمع الناشئ الذي تحول من مجتمع جاهلي قائم على النسب والأرض، إلى مجتمع يحمل أعظم رسالة لجميع أهل الأرض.

- وقد ضمن الله سبحانه وتعالى الرزق والأجر والرحمة لمن يخرج ويهاجر في سبيله، فقال: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١٠٠].

ومن معاني الهجرة الدائمة الصالحة لكل زمان ومكان:

الانتقال بالنفوس من أرض إلى أرض، ومن وسيلة إلى وسيلة، ومن أسلوب إلى أسلوب، ومن حال إلى حال، ومن القلة إلى الكثرة، ومن الضعف إلى القوة، ومن العزلة إلى الحركة، ومن الذلة إلى العزة، ومن الفرقة إلى الجماعة، ومن الحرام إلى الحلال، ومن المعصية إلى الطاعة، وصدق رسول الله ﷺ في قوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»(١).

* * *

---

(١) صحيح البخاري، (١/١١)، ح(١٠).

المبحث العاشر
الجهاد في سبيل الله

المطلب الأول
الجهاد في سبيل الله وصلته بالرحمة

لقد قرن الله سبحانه وتعالى بين ذكر الجهاد والهجرة في سبيله، وجعلهما سببًا لنيل رحمته، كما في قوله سبحانه وتعالى السابق ذكره في مبحث -الهجرة في سبيل الله-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:٢١٨]، والمؤمنون بمكة أمروا بالصلاة والزكاة والصبر على أذى المشركين، وكانوا يتمنون لو أمروا بقتال أعدائهم، فلما فرض عليهم القتال في المدينة، إذا جماعة من المنافقين يخشون الموت كخشيتهم من عذاب الله أو أشد، قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧]، والجهاد في سبيل الله لا يتعارض مع حرية الاعتقاد واختيار الدين، ولا إكراه الناس على الدخول في الإسلام، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، فالإسلام

لم ينشر ويبلغ بحد السيف، كما يدعي أعداؤه، وإنما بالرحمة والخلق الحسن.

ومعنى ذكر الإرهاب في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٦٠]، أي: من عاد الله وعاداكم، وردع المعتدي حق المعتدى عليه ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤]، فهذه الآيات وغيرها من آيات الجهاد والقتال ضد الكفار المحاربين ومن على شاكلتهم، دفاعًا عن الدين والنفس وغيرها، وأما غير المحاربين -المسالمين- فقد أمرنا الله ﷻ بالإحسان والعدل والبر لهم، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]، وقال أيضًا ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢]، والبر هو كل خير، ولأهميته قرن بالتقوى كما قرن الإثم بالعدوان.

إن مصطلح الإرهاب والتطرف الإسلامي، مصطلح جديد دخيل على الإسلام، ونسبة من يوصف به لا تزيد على واحد من مليار ونصف مسلم كحد أدنى، وأعمارهم في العشرين أو أقل من ذلك أو أكثر، ومع ذلك يستخدم الإعلام لفظ (الإسلام الإرهابي) أو (المسلمون المتطرفون)، فلا يلام الإسلام والمسلمون عامة، وإنما يلام من أساء للإسلام والمسلمين.

قبل أكثر من ألف سنة على اتفاقية جنيف، كان محمد ﷺ والخلفاء من بعده يوصون المسلمين في الحروب أن لا يقتلوا طفلًا أو امرأة أو شيخًا طاعنًا في السن، ولا يقطعوا شجرةً ولا يهدموا بيتًا، ولا يؤذوا راهبًا ولا يمسوا كنيسة، كيف لا؛ وهم يرددون تكرارًا ومرارًا، صغارًا وكبارًا، سرًا وجهرًا

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:١-٢]، وتحيتهم تحية السلام «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فالله هو الرحمن الرحيم، وهو رب العالمين، رب الناس أجمعين، ومحمد ﷺ مرسل للناس كافة، ورحمة للعالمين، فالإسلام وسائر الأديان جاءت لحماية الإنسان، كيف لا وهو أكرم مخلوق، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكة قدسه، واستخلفه في أرضه، وفضله على كثير من خلقه، ولزوال الدنيا أهون على الله من قتل المؤمن وسفك دمه، وذكر قتل ابني آدم في القرآن فقال: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢]، من قتل نفسًا واحدة أيًا كان لونها أو جنسها أو لسانها أو دينها، فإنما إثم قتلها كمثل من قتل الناس أجمعين، وكذا ثواب من أحياها كثواب إحياء الناس جميعًا، ولهذا شرع القصاص حتى لا يستهان بدم الإنسان، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٨ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٨-١٧٩]، ففي القصاص يزول القتل، وفي زواله حياة الكل. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن إقامة الحد من العبادات، كالجهاد في سبيل الله، فينبغي أن يعرف أن إقامة الحدود رحمة من الله بعباده، فيكون الوالي شديدًا في إقامة الحد لا تأخذه رأفة في دين الله فيعطله، ويكون قصده رحمة الخلق بكف الناس عن المنكرات، لا شفاء لغيظه وإرادة العلو على الخلق، بمنزلة الوالد إذا أدب ولده، فإنه لو كف عن تأديب ولده كما تشير به أمه –رقة ورأفة– لفسد الولد، وإنما يؤدبه رحمة به وصلاحًا لحاله»(١).

---

(١) السياسة الشريعة في إصلاح الراعي والرعية، لتقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، =

وليس ذلك محصورًا في النفس البشرية، بل تعدى إلى الحيوان، قبل أن يسمع بحقوق الإنسان قبل حقوق الحيوان، فالله ﷻ أدخل امرأة الجنة بكلب سقته ماء من بئر فأحيته بعد أن كاد يموت من الظمأ، وأدخل امرأة النار بهرة حبستها، لا هي أطعمتها ولا تركتها تخرج تأكل فماتت.

المطلب الثاني
أثر الجهاد في إصلاح الفرد والمجتمع

إن الإسلام جاء لينشئ مجتمعًا خاليًا من الجريمة والإرهاب بشتى أنواعه -النفسي والمالي والاجتماعي- وليحافظ مع سائر الملل على الضروريات والمقاصد الخمس التي عليها مدار الدنيا والدين وصلاحهما، وهي «النفس، والدين، والمال، والعقل، والنسل». وللجهاد منافع كثيرة منها:

- أثره على المجتمع وإصلاحه، فالجهاد شرع للدفاع عن الدين، والمحافظة عليه ونشره، وترك الحرية للناس في اختيار الدين الذي يرتضونه دون إكراه أو فتنة، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]، وقال قبلها: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٩١) فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٩١-١٩٢].

- دفع الظلم: أذن الله للمؤمنين في القتال بسبب أنهم ظلموا، حيث قال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ (٣٩) ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ

= دار الكتاب العربي، مصر، ط: الرابعة، سنة ١٩٩٩م، ص٩٧.

ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الحج:٣٩-٤١]، قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر (يقاتَلون) بفتح التاء، على أنه مضارع مبني للمجهول، وقرأ الباقون (يقاتِلون) بكسر التاء، على أنه مضارع مبني للمعلوم، فهم يقاتِلون، لأنهم يقاتَلون(١)، وهذه أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في أكثر من سبعين آية، ولولا ما شرعه الله من الجهاد لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان، وتعطلت الشرائع، وهدمت معابد الرهبان، وكنائس النصارى واليهود، ومساجد المسلمين، فكفّ الله سبحانه وتعالى المشركين بالمسلمين، وإذنه بمجاهدة الكافرين، فهؤلاء الذين يستحقون نصرة الله هم الذين إن مكنوا في الأرض، حافظوا على الصلاة وأداء الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وهذه الصفات سبق الحديث عنها في المباحث السابقة، أنها سبب للرحمة.

- الاستخلاف والتمكين في الأرض، وتبديل الخوف أمنًا: قال المفسرون: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة، رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا في لامتهم -أي: سلاحهم- فقالوا: أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله سبحانه وتعالى!! فنزلت الآية»(٢). قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥]، ثم قرن الله بين إقامة الصلاة وإيتاء

---

(١) ينظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، لسالم محيسن، (٣/٥٤).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لعبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثالثة، سنة ١٤٠٤هـ، (٦/٥٧).

الزكاة وطاعة الرسول رجاء رحمته فقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦].

- حماية المستضعفين: حث الله المؤمنين وحضهم على الجهاد في سبيله، وفي سبيل خلاص المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين صدهم المشركين عن الهجرة، واستذلوهم واستضعفوهم، فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء:٧٥]، وحماية المستضعفين ودفع الظلم عنهم واجب في كل زمان ومكان.
- كف بأس الكافرين: وهذا وعد من الله محقق، ولذا أمر نبيه محمدًا ﷺ أن يقاتل ويشجع المؤمنين على القتال فقال تعالى: ﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء:٨٤]، ثم بين لهم أنه لا يتساوى القاعد عن الجهاد من غير عذر، والمجاهد في سبيل الله، وفضل المجاهد على القاعد بعذر درجة، وعلى القاعد بغير عذر درجات ومغفرة ورحمة، فقال: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٥-٩٦].
- وحدة المسلمين: إن وحدة المسلمين لها أثر كبير في نصر الدين، لما فيها من رعب للأعداء الذين يسعون لتمزيق وتفتيت هذه الوحدة، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]، وأمرهم الله بإعداد جميع أسباب

القوة لقتال أعدائهم، ونبههم على أن النصر لا يأتي في كل زمان من غير استعداد فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٦٠]، أي: وما تنفقوا في الجهاد وغيره من وجوه الخير، ثم أمر في الآية التي تليها نبيه ﷺ بالسلم إذا وجد السبيل إليه، لأن القتال ضرورة اقتضتها الظروف لرد العدوان، وحرية الأديان، وتطهير الأرض من الظلم والطغيان، فقال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال:٦١]، ثم بين المراد بالصلح فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣]، قال القرطبي: "وكان تأليف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي ﷺ ومعجزاته؛ لأن أحدهم كان يُلطم اللطمة فيقاتل عليها، وكانوا أشد خلق الله حمية، فألف الله بينهم بالإيمان، حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين"(١).

لقد اقتتلت عبس وذبيان في الجاهلية أربعين سنة، في حرب داحس والغبراء -فرسان للسباق- بسبب اختلافهم أيُّ الفرسين سبق؟ وفي الجاهلية الحديثة، اقتتلت دول العالم، فبلغ عدد قتلى الحرب العالمية الأولى والثانية عشرات الملايين، إضافة إلى المجازر الوحشية، والدماء التي تسفك كل يوم على أيدي الجبابرة والطواغيت، الذين يريدون علوًا في الأرض وفسادًا، فطغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، وجعلوا أهلها شيعًا، بعضها يستضعف وبعضها يُذبح.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٨/٥٣).

لقد تحقق الأمن والسلام على يد رسول الرحمة والإسلام محمد ﷺ بأقل عدد من قتلى الأعداء، في جميع الحروب والغزوات التي خاضها النبي ﷺ، فلم يزد عدد القتلى على ألف حسب إحصاء بعض مؤلفي السيرة النبوية، ولم يقتل بيده إلا رجلًا واحدًا في غزوة أحد -أبي بن خلف-، وفتح مكة شاهد لذلك، فقد آمن الناس ودخلوا في دين الله أفواجًا، وتجلت رحمته ﷺ بالكفار والأعداء الذين حاربوه وتآمروا عليه حينما أعلنها صريحة بعد ما سمع قولة بعض أصحابه: اليوم يوم الملحمة، فقال ﷺ: «اليوم يوم المرحمة»، وقال: «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، وقد قدرت. فقال ﷺ: «إني أقول لكم كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم، اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء»(١).

يقول الشاعر الإسلامي وليد الأعظمي متمثلًا هذا الموقف(٢):

دخلت مكة والرايات خافقة   لو شئت أسلمتها للحرق والعدم
عفوت لما رأيت العين دامعة   أخ كريم وأذروا عبرة الندم
يا منقذ الكون من جهل أحاط به   لولا الهداية ما ثرنا على صنم
اليوم جئتُ إلى التاريخ أسأله   ما كان منه حديثًا أو بذي قدم
فما وجدت لكم يا سيدي شبهًا   هم في السفوح وأنتم في ذرى القمم

ويقول في قصيدة -شريعة الله للإصلاح عنوان-:

تاريخنا من رسول الله مبدؤه   وما عداه فلا عز ولا شان
محمد أنقذ الدنيا بدعوته   ومن هداه لنا روح وريحان
لولاه ظل أبو جهل يضللنا   وتستبيح الدما عبس وذبيان

---

(١) ينظر: السيرة النبوية، لعبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (٢/٤١٢). وأخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال (١/١٤٣) بإسناد ضعيف.

(٢) ديوان وليد الأعظمي -الأعمال الشعرية الكاملة-، دار القلم، دمشق، ط: الثالثة، سنة ٢٠٠٤م.

هذا هو الإسلام الذي يصوب إليه الإعلام، ويُرمى بالسهام، إنه دين الرحمة والسلام وإن عم الكون الظلام، وسيشرق نوره ويظهر ليضيء كل الأنام.

وصلى اللّه على سيدنا محمد نبي الرحمة، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، ودعى بدعوته إلى يوم الدين.

* * *

الخاتمة

بعد الاستقراء لبعض آيات الرحمة وأسبابها وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع، يمكن ذكر النتائج التالية:

- الرحمة صفة لله ﷻ، وصف بها نفسه، وكتبها على نفسه تفضلًا من وإحسانًا.
- الرحمة وسعت كل شيء، وأودعها في قلوب جميع مخلوقاته ليتراحموا بها.
- الرحمة هي الغاية التي أرسل بها محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].
- الإنسانية جمعاء بحاجة في كل زمان ومكان إلى خلق الرحمة في حياتها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتعليمية، والتربوية.
- أسباب الرحمة وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع كما هو مبين في مباحث هذا البحث.

وأوصي بما يلي:

- حث المسلمين على التحلي بصفة الرحمة، واتخاذ القرآن هدى

للرحمة والتراحم فيما بينهم، واتباعهم لنبي الرحمة ﷺ، والتخلق بخلقه.

- التأكيد على أن الإسلام هو دين الرحمة والسلام، ودفع الشبهات التي أثيرت حول الإسلام بأنه دين إرهاب، وسفك للدماء، والتعرف على خلق الرحمة وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع، وذلك من خلال انعقاد المؤتمرات، والندوات، والمحاضرات.

وختامًا فإنني أحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقت لكتابة هذا البحث المتواضع، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير البريات.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمود مرسي عبدالحميد، ومحمد عوض هيكل، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣. إغاثة اللهفان من كصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، مكتبة المعارف، الرياض، تحقيق: محمد الفقي.

٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: محمد النجار.

٥. تفسير المنار، لرضا محمد رشيد، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٤٦هـ.

٦. التفسير الكبير، لأبي عبدالله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.

٧. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن، المعروف بابن دريد، دار العلم، بيروت، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي.

٨. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، المعروف بالثعالبي، مؤسسة الأعلى، بيروت.

٩. ديوان وليد الأعظمي -الأعمال الشعرية الكاملة-، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٤م.

١٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، دار الفكر، بيروت.

١١. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي.

١٢. زاد المسير في علم التفسير، لعبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٤هـ.

١٣. سنن الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي، مصر، سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٤. السيرة النبوية، لعبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار إحياء الثراث العربي، بيروت، لبنان.

١٥. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٢.

١٦. لسان العرب، لابن منظور، أبي الفضل، جمال الدين بن مكرم، دار لسان العرب، بيروت.

١٧. مسند أحمد، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، طبعة دار الرسالة.

١٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

١٩. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار الفكر العربي، طبعة: سنة ١٩٧٨م، تحقيق: عبدالسلام هارون.

٢٠. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

٢١. مقدمة جامع التفاسير، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، دار الدعوة، الكويت، تحقيق: أحمد حسن فرحات، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤.